على الغلاف

عرسال التائهة تحنّ لحضن الدولة

الصورة السائدة عن عرسال تبدو، لمن يفكر في الذهاب الى هناك، مخيفة، خاصة لأولئك المختلفين ايديولوجيًا، او مثلنا العاملين في وسائل إعلام «عدوة». لكن المجرب من الحرب الأهلية، الذي عاش سنوات من المفارقات بين الوضع الحقيقي والإعلامي للمناطق التي كان يعيش فيها ايامها، يداخله الشك في حقيقة تلك الصورة. صحيح أن اختصار الأمور الى الأسود والابيض مريح، الا انه مضلل للحقيقة الميدانية، او هكذا نأمل على الأقل. على هذا الأمل يتكل الذاهب الى عرسال لتفقد الناس هناك ومزاجهم وما باتوا عليه بعد حسم معركة القلمون لمصلحة الجيش والمقاومة، وحشر الارهابيين في منطقة صغيرة مضبوطة الممرات. كيف يعيش اهل عرسال هذه المرحلة؟ أمازال يمكن اعتبارهم بيئة حاضنة للمسلحين؟ ماهي السيناريوهات المحتملة للمرحلة المقبلة؟ مم يتخوفون؟ وبم يأملون؟ والأهم: كيف يعيشون واقعهم المرتبك؟

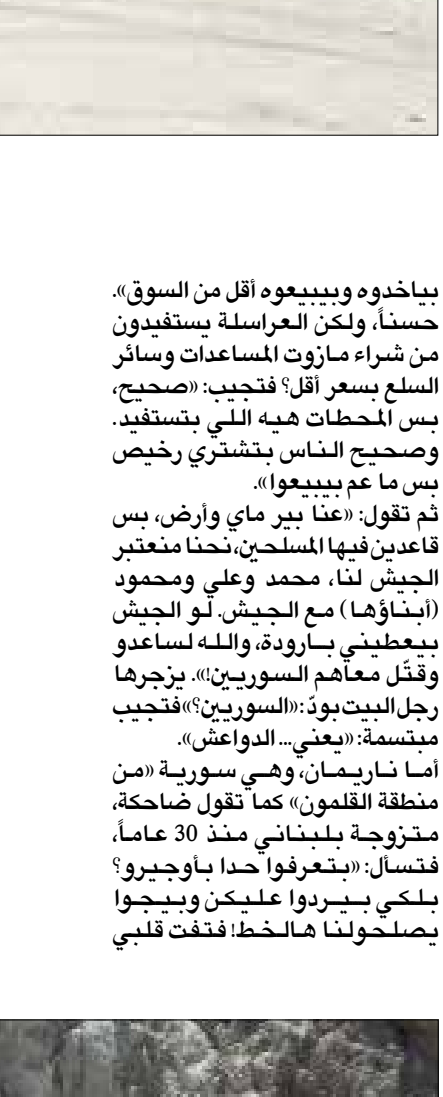

عرسال ـ **ضحى شمس**

«كل هاي التلال اللي شايفتيها داير مدار صارت بإيد الجيش والحزب». يقول مضيفنا وقد اعتلينا سطح منزل في اعلى نقطة من عرسال. لا يقول الرجل «المقاومة»، بل يفضل اللفظة التي يتداولها هنا غير الراضين عن هذه الأخيرة لأسباب ايديولوجية او مذهبية، والاثنان اصبحا للأسف وجهين لعملة واحدة.

من هنا، من هذا العلوّ المشرف على كامل المدينة الواقعة في واد بين تلال جبلية، تبدو عرسال مغبرة وجرداء وأشبه بمخيمات الأردن للاجئين الفلسطينيين: تمدد افقي باطوني في طبيعة جرداء، مع كثافة سكانية عالية (العراسلة 40 ألف نسمة اضافة الى 70 الف لاجئ سوري اقيمت اغلب مخيماتهم الثمانية بين الأحياء الداخلية). كأن البيوت لم تقم هنا الا لمجرد الإيواء، فلا حاجة للتجميل. يشبه مشهد عرسال مدينة السويس في صعيد مصر. مدينة بنيت لعمال القناة بالأصل. حين نسلك الطرقات الداخلية، تبدّد بعض شجيرات الورد أمام المنازل هذا الإحساس بالقسوة والجفاء والتصحر.

الوجوه أيضاً، كما المدينة المتجهمة، تخلو من مساحات الابتسام الخضراء. مزيج من تعب وقلق وحذر. يقف الجندي أمام محطة البنزين، أول البلدة عند حاجز المخابرات، ينتظر آلية تقله إلى نقطته في وادي حميد. يسأل الحاجز «كلكم من عرسال؟» فنجيبه بالإيجاب، فيومئ لنا بمتابعة الطريق. يشير الصديق السائق إلى طريق جانبي على يمين الداخل: «من هون بياخدوا أهالي العسكريين للزيارة... هيدا اسمو سرج حسان». نتابع الصعود إلى البلدة فنمرّ بأماكن ذكرتها نشرات الأخبار. هنا هوجم الجيش، وهنا نصب كمين لعناصره... مشاعر العراسلة حيال الجيش متفاوتة بين ارتياح لما فعله حتى الآن، ومتأفف من «جفاء» معاملته لهم. جفاء يصل بعض الأحيان إلى عدوانية بيّنة وخشونة غير مبررة في التعاطي مع المواطنين. البعض يسكت عن هذه المعاملة ويبررها بأن بعض العراسلة «ما قصّروا» لجهة مساندة الإرهابيين ضد الدولة، لكن البعض الآخر يجد، وعن حق، أنه لا يحق للجيش أن يتعامل مع مواطنيه تعامل المنتصر على عدو. يذكّرك وضع عرسال، بشدّة، بما حصل في مخيم نهر البارد.

يخبرك فؤاد، وهو صاحب منشرة حجارة من أصل 300 منشرة هنا، عن تشدد الجيش مع أهالي عرسال، خصوصاً من بينهم أصحاب الأراضي الواقعة ما بعد حاجز وادي حميّد، الذين يضطرون إلى عبور الحاجز إلى أرزاقهم. يقول أحدهم: «بيبقى واصل الصف لشي 3 كلم، من الستة للتسعة الصبح». إلا أن فؤاد يخبرنا عن «لؤم العسكري اللي كان واقف هونيك: قلتلو يزحلي الحديدة النافرة من الحاجز بس عشرة سنتم حتى ما يدق فيها دولاب الشاحنة، يعني حقو ألف دولار الدولاب مش مزحة، قام قللي امشي احسن ما قوصك!». ثم يضيف أن الحديدة ما غيرها ثقبت دولاب شاحنته، فاضطر إلى ترك الشاحنة مركونة وجلس في المنزل مفضلاً البطالة على البهدلة! يسأل: «إنو هاو مش جيش البلد يعني؟ ليش عم يحكي معي هيك؟ شو عملتلو أنا؟». نقول له إن غيره عمل الكثير للجيش، فيجيب: «مين اللي رد عن الدرك لما هجموا عليهم ع المخفر؟ مش العراسلة؟ مش انقتل منهم؟ من بيت عز الدين وغيرو؟ في شي 3 آلاف عرسالي بالجيش أو لا؟ كل العالم متل بعضها يعني؟».

تبدو عرسال، إلى تجهمها، تائهة كما وصفها ببلاغة الشيخ خالد، وهو صاحب أراض زراعية. يحصل لعرسال ما حصل قبلها لعكار، البيئة الحاضنة سابقاً للاجئين السوريين في الشمال اللبناني: استثقال لضيف أطال وزاحم أهل البيت على أرزاقهم، ضيف توفر له المساعدات وتصله مستلزماته، في حين أن ابن البلد لا يجد اللقمة بسبب مزاحمة هؤلاء الضيوف على الأعمال ومنافستهم له برخص أيديهم العاملة. إضافة إلى أنواع من «التأثيرات الجانبية» الاجتماعية كانتشار الدعارة والمخدرات، وهي ظواهر لم تكن موجودة كما قالوا.

هكذا، يبدو مزاج العراسلة محايداً حياد من خاب أمله بحلفائه، فلا هو قادر على كره أهل خندقه السياسي/ المذهبي، ولا على التماهي مع «المنتصرين» من الملّة الأخرى. هكذا يصبح «الحياد» غطاءً لفراغ عاطفي أيديولوجي، يحاول التعويض بتغيير الموقف «على الأقل» من الجيش «الجامع لكل اللبنانيين».

معيشة

«من قلة الموت»، تقول أم غيث رداً على سؤالنا كيف يعيشون هنا في ظل الأوضاع الراهنة، وتضيف وهي تجفف يديها من مياه الجلي بمئزرها: «البلد ما عاد فيه شغل، ربطة الخبز بدك تحصلي عليها بالحلاش، لأنو السوريين بهدلونا بهدلة كبيرة، ضيقوا علينا وصاروا متل الخناق ع رقبتنا: بتروحي ع الخضرجي بيطلع سوري، بتروحي ع اللحام بيطلع سوري، ع السمان بيطلع سوري...». نقاطعها: ولكن أين هي دكاكين العراسلة؟ تقول: «السوري بيشتغل بألف ليرة وبيقول عال! هوي بتجيه المساعدات والمازوت، وأنا عم ذوق الغلبة لأحصل على المازوت، وهني بياخدوه وبيبيعوه أقل من السوق».

حسناً، ولكن العراسلة يستفيدون من شراء مازوت المساعدات وسائر السلع بسعر أقل؟ فتجيب: «صحيح، بس المحطات هيه اللي بتستفيد. وصحيح الناس بتشتري رخيص بس ما عم بيبيعوا».

ثم تقول: «عنا بير ماي وأرض، بس قاعدين فيها المسلحين، نحنا منعتبر الجيش لنا، محمد وعلي ومحمود (أبناؤها) مع الجيش. لو الجيش بيعطيني بارودة، والله لساعدو وقتّل معاهم السوريين!». يزجرها رجل البيت بودّ: «السوريين؟» فتجيب مبتسمة: «يعني... الدواعش».

أما ناريمان، وهي سورية «من منطقة القلمون» كما تقول ضاحكة، متزوجة بلبناني منذ 30 عاماً، فتسأل: «بتعرفوا حدا بأوجيرو؟ بلكي بيردوا عليكن وبيجوا يصلحولنا هالخط! فتفت قلبي

أهالي عرسال: مزيج من تعب وقلق وحذر

في عرسال ثلاثة ملايين شجرة كرز ومشمش كانت تنتج ما قيمته 10 مليارات ليرة

قلب عرسال لم يعد إلى اليسار... ولا مع المستقبل

قليلون من الأجيال الجديدة يعرفون ماضي عرسال المقاومة، وأنها قدمت الكثير من الشهداء في ساحات الجنوب. كان قلب عرسال ينبض الى اليسار. «في العقدين الاخيرين كان 70% من العراسلة مع تيار المستقبل. لكن شو عملولنا؟». يسأل الرجل، ويجيب: «ما فوّتوا عنصر واحد عالجيش! هالكذبة اللي هي السيادة والاستقلال عم تبين شوية شوية. إنها مشروع إعلامي تسلطت فيه علينا إمبراطوريات إعلامية ضخمة وسيطرت علينا». ويضيف: «لما كان المستقبل بالسلطة، وعم يوزعوا ع السنّة والشيعة، بقيت عرسال مهمّشة كما هي. في كل عهود الحريري الاب والابن، أي نفع جاء عرسال منهم؟ لا شيء إلا أنهم نفخونا مذهبياً حتى انفجرنا! فالناس أصبحوا يتساءلون ويراجعون أنفسهم. اليوم أعتقد جازماً أن المتعاطفين مع المستقبل انخفضوا على الاقل الى 30%». نسأله إن كان هناك من هو قادر على ملء هذا الفراغ الايديولوجي. فيجيب: «لا... هدول ما بيروحوا لعند المقاومة. بيروحو ع الحياد. بيقعدوا ع جنب». وماذا عن اليسار؟ يقول: «للأسف ليست لديه القدرة على ملء هذا الفراغ. هناك فقط الجيش. كانت هناك فكرة أن الحزب مسيطر عليه، لكن تغيّرت بسبب أداء الجيش. صارت الناس عم تفهموا للجيش وتتعاطف معه، وهذا التعاطف يتزايد برغم بعض السلوكيات وتعاطي الجيش ببعض الجفاء معنا».